﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

رحمةُ اللهِ ربَّما جرَّأتِ المستهترين على المعصية

خُتِمَت الآية السّابقة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، والختْمُ بهذين الوصفين بَعدَ الأمر بالعفو في قوله: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ ربَّما جرَّأ على مثل هذه الإساءة، وهي رَميُ المحصنات بالفاحشة، فجاء التَّرهيب في هذه الآية، تعميمًا للحكم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَرۡمُونَ﴾: "الراءُ والميم والحرف المعتلُّ أصلٌ واحد، وهو نبذ الشَّيء، ثمَّ يُحمل عليه اشتقاقًا واستعارة"[2]، وكلُّ شَيْءٍ رميتَه من يدك من حجر أَو سهم؛ فهوَ رَميٌّ، ويقال في الأعيان، وفي المقال كنايةٌ عن الشَّتم كالقذف[3]، وهو رميُ المرأة بالفاحشةِ، يقال: رَمَى فُلانٌ فُلانًا بأَمرٍ قبيحٍ، أَي: قَذَفَهُ[4].

2) ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: "الحاء والصاد والنّون أصلٌ واحدٌ منقاسٌ: وهو الحفظُ والحياطةُ والحِرز"[5]، وذُكِرَ أنَّ أَصْلَ الإحْصان: المَنْعُ، ومنه الحِصْنُ: كلُّ مَوضِعٍ حَصين لا يوصَلُ إِلَى ما في جَوْفه؛ لأنَّه يمتنع به، فالمُحصنات ممتنعاتٌ بأزواجِهنَّ، وبعفَّتهنَّ، وابتعادِهنَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 249.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رمى).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب الأصفهاني، المفردات: (رمى).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (رمى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصن).

عن الرّيبة، وامرأةٌ مُحصَنةٌ: أَحصَنَها زَوْجُها، ومُحْصِنةٌ: أَحْصَنَتْ زَوْجَها وفَرْجَها[1].

3) ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: الغفلةُ: سهْوٌ يعتري الإنسان من قلَّةِ التحفُّظ والتيقُّظ[2]، فالغَيْنُ والفاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ترك الشَّيء سهوًا، وربَّما كان عن عمدٍ، أي: تركته غُفْلًا وأنت له ذاكر[3]، والمقصود بالغافلات هنا: السَّليماتُ الصدورِ، النقيّاتُ القلوبِ، اللّاتي ليس فيهنَّ دهاء ولا مكر؛ لأنَّهنَّ لم يجرِّبنَ الأمور، فلا يَفطِنَّ لما تَفطِن له المجرِّباتُ العرّافات[4]، أو تركنَ ذلك مع علمهنَّ به، حتى لكأنهنَّ ساهياتٌ عنه؛ وذلك لأنَّهنَّ مستوراتٌ عنه، من غَفَلَتِ الشَّيءَ تغفيلًا؛ إذا كَتَمْتَهُ، وسَتَرْتَهُ[5].

4) ﴿لُعِنُواْ﴾: (لعن) أصلٌ صحيح يدلُّ على إبعاد وإطْرادٍ، واللَّعْنَةُ في القرآن: العذابُ، والمُلَعَّنُ: المعذَّب، واللَّعينُ المشتوم المسبوب الممسوخ، المُبَعَّدُ المطرودُ من الخير، ولَعَنَ اللّه الشَّيطان: أبعدَهُ عن الخيرِ والجنَّة[6]، فهو طردٌ وإبعادٌ على سبيل السُّخط، وذلك من اللّه تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدُّنيا انقطاعٌ من قَبول رحمتِهِ وتوفيقه، ومن الإنسان دعاءٌ على غيره بلعنة اللّه[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الوعيدُ الشَّديدُ لِمَـــن يَـقـذِف المحصنات

بيَّنتِ الآيةُ أنَّ جزاءَ الذين يرمون المسلِماتِ العفيفاتِ بالفاحشة إنَّما هو الطَّرد والإبعاد عن رحمة اللّه تعالى، وغضبه الشَّديد، وعذابه الأليم.

(1) الفراهيدي، العين، والرغب، المفردات، وابن الأثير، النهاية، والسمين، عمدة الحفاظ: (حصن).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (غفل).
(3) الفراهيدي، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 223.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن سيده، المحكم: (غفل).
(6) الفراهيدي، العين، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (لعن).
(7) الراغب الأصفهاني، المفردات: (لعن).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ التَّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

تـوكيـدُ الـوعيـدِ رادِعٌ عن ارتكاب الكبائر

لمّا كان سياق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ وعيدًا لقذف المحصنات؛ ناسب الإتيان بـ﴿إِنَّ﴾ المؤكِّدة؛ تحقيقًا وتأكيدًا على اللَّعنة الدنيويَّة، والعذاب الأخرويِّ الذي أوعِدوا به، وهذا يجعل الإنسان بمنأًى عن هذا القذف الكَذوب، حتّى يكون بمنجًى من هذا العذاب المرهوب.

والمتأمِّل في سياقات القرآن الكريم يتبيَّن له أنَّ التوكيداتِ تكثُر في سياقات الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب؛ ليكون في قلوب الناس أكثرَ وقعًا، وأعظمَ تأثيرًا.

سرُّ التَّعبيرِ بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

فـاعـلُ الـشَّـرِّ لا يُجازَى إلّا بالشَّرِّ

إذا عُبِّر بالاسم الموصول؛ فلا بدَّ من ذكر صلته، لتُزيل عنه الإبهامَ، فبلاغةُ التَّعبير بالاسم الموصول في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ إيماءٌ إلى وجه بناء الخبر، أي: إنَّ الموصولَ وصلتَه يكشفانِ، ويُشيران قبل مجيء الخبر عن الجزاء المستحَقِّ، والجزاء من جنس العمل، ولا يَجني الشَّوكَ إلّا مَن زرعَهُ، وهذا فيه تنفيرٌ شديدٌ، وترهيب بالغٌ من رمي المحصنات.

إيثارُ فعلِ الرَّمي مضارِعًا:

قـذْفُ المحصنات مـن الـكـبـائـر الموبِقة

التَّعبيرُ بالمضارع في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾؛ لاستحضار الصّورة الَّتي هي من أغرب الغرائب، أو للإشارة إلى أنَّ شأنَهم الرَّميُ، وأنَّه يتجدَّد منهم آنًا فآنًا[1]، ويجوز أيضًا أن تكون إفادةُ التجدُّد للإشارة إلى أنَّ "ذلك حكمُ كلِّ من رمى محصنةٍ، لم تقارف سوءًا"[2]، وهو حكم الله عليهم باللَّعن في الدُّنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 18/ 127.
(2) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: 19/ 139.

بلاغةُ المجازِ في لفظ الرَّمي:

الألـمُ المعنـويُّ أنـكى مـن الألـم الحسيِّ

الرَّمي في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ مستعمَلٌ في قذف المحصَنات، وعليه يكون في لفظ الرمي استعارةٌ تصريحيَّةٌ، شُبِّه فيها القذفُ بالرَّمي بالحجر، والجامع بين الطَّرفين مطلَقُ الإيلام، ولا يُضعِّف من هذا الجامع كونُ الإيلام حِسّيًّا في الرمي بالحجر، ومعنويًّا في القذف.

وبلاغةُ التَّعبيرِ بالاستعارة: الكشفُ عن وقْعِ الألَم، وعِظَم الإيجاع في قلوب المقذوفات، فالتَّعبيرُ بها أشدُّ تحذيرًا، وأبلغ تنفيرًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾:

تبشيعُ الخوضِ في أعـــراض المحصَنات لشدَّة عفَّتهنَّ

﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ جمع مُحصَنة، وهي المرأة العفيفة، ودلالةُ التَّعبير بها للإشارة إلى كمال عِفَّتهنَّ، كأنَّهنَّ من شدَّة عفافهنَّ "جَعَلنَ أنفُسَهُنَّ في مثل الحصن"[1]، "وخُصَّ الإناثُ - وإن كان الحكم عامًّا للرِّجال - تنبيهًا على عظيم حقِّ أمِّ المؤمنين عائشة ﵂، ولأنَّ الكلامَ في حقِّهنَّ أشنعُ"[2].

سرُّ جمعِ ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ وتعريفِها:

عمـومُ اللَّـفظ يُـجري الحُكمَ عـــلى ســائـر المـــؤمِـــنـــات العفيفات

الصّيغةُ في سياق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ عامَّةٌ، ولا مانعَ من إجرائها على ظاهرها، فوجب حملُ جمع ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ في الآية على العموم، فيدخلُ فيه قَذفَةُ عائشةَ، وقَذفَةُ غيرها"[3] من نساء النبيِّ ﷺ، أو من نساء الأمَّة العفيفات، فالأولى أن يتناول الجمعُ كلَّ محصنة، في كلِّ زمان ومكانٍ، فالآيةُ وإن كانت نزلت في شأن عائشةَ، إلّا أنَّ "الحُكمَ بها عامٌّ في كلِّ مَن كان بالصِّفة التي وصفه الله بها فيها"[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 241.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 241.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 353.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/ 140.

بلاغةُ العمومِ في وعيد الآية:

تغليظُ قذفِ عائشة، والتَّحذير من الوقوع في سائر المحصَنات الغافلات المؤمنات

جاء الوعيدُ من قذف المحصنات في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ عامًّا يشمل جميع المحصنات، "وإن كان الحديث مَسوقًا عن عائشة، والمقصود بذكرهنَّ على العموم وعيدُ من وقع في عائشةَ على أبلغِ الوجوه؛ لأنَّه إذا كان هذا وعيدُ قاذفِ آحاد المؤمنات، فما الظنُّ بوعيد من وقع في قذف سيدتهنَّ؟ على أنَّ تعميمَ الوعد أبلغُ وأفظع من تخصيصه، ولهذا عَمَّمت زَليخا حين قالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥﴾ [يوسف: 25]، فعمَّمت، وأرادت يوسف؛ تهويلًا عليه وإرجافًا"[1].

ثمَّ إنَّ الأَولى حملُ الآية على العموم، "فكلُّ رامٍ محصَنةً بالصِّفة التي ذكر الله جلَّ ثناؤه في هذه الآية؛ فملعونٌ في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلّا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته"[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الفاعل: ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾:

الغفلةُ عن الرِّيبةِ من صفات المسلمات

من دلالة اسم الفاعل إفادةُ ثبوت المعنى ودوامِه، فاستعمالُ صيغته لِوَصفِ غفلةِ المحصَنات في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أدلُّ على براءة المحصنات، وعِظَم نزاهتهنَّ، وكمالِ غفلتهنَّ عن اقتراف الريبةِ، قال أبو السُّعود: "فيها من الدِّلالةِ عَلى كمالِ النَّزاهةِ ما ليس في المحصناتِ"[3]، وفي هذا التَّعبيرِ ما لا يخفى مِنَ الوعيد الشَّديد لمن قذف مؤمنة بتلك الصِّفة، وهي في غفلة تامَّة عمّا يُثير دواعيَ الريب.

بلاغةُ الكناية بلفظ ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾:

الغافلاتُ من النِّساء أبعدُ الناس عن الرِّيبة

التَّعبيرُ بـ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ كناية عن عدم وقوعهنَّ في

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 588، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ص: 247.
(2) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: 19/ 140.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 165.

الفاحشة؛ لأنَّ الَّذي يفعل الفاحشة لا يكون غافلًا عنها أبدًا[1]، فهنَّ لم يَهْمُمنَ بالرَّيب قطُّ، ولا خطر على قلوبهنَّ؛ لأنهنَّ في غفلة عنه، وهذا أبلغُ ما يكون من الوصف بالعفاف[2].

وعدمُ خطورِ الشرِّ على قلوبهنَّ؛ "لكونهنَّ مطبوعاتٍ على الخير، مخلوقاتٍ من عنصرِ الطهارة، ففي هذا الوصف من الدلالة على كمال النَّزاهة ما ليس في المحصنات المؤمنات"[3]، وهذا تهديد أيضًا لمن حام بالرّيبة حول عفافهنَّ.

نكتةُ تأكيدِ الوصف بـ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾:

الإيمانُ هو جِماعُ الخير كلِّهِ

جاء الوصفُ بـ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ لبيان أنَّ الذي حمل النساء على الإحصان والغفلة عن الرّيبة إنَّما هو الإيمان والتقوى؛ "لأنَّ وصفَ الإيمان حاملٌ على كلِّ خير، ومانعٌ من كل سوء"[4]، وأنَّ هذا الوصفَ دلَّ على أنَّ المتَّصفاتِ بالإيمان آمنَّ بكلِّ ما يجب أنْ يؤمَنَ به، من الواجبات والمحظورات وغيرها، إيمانًا حقيقيًّا تفصيليًّا[5]، وفي وصف ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ تشنيعٌ على القاذفين الكاذبين؛ لأنَّ وصفَ الإيمان يمنعهنَّ من الوقوع في الفاحشة[6].

سرُّ ترتيبِ ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾:

الإيمانُ مَناطُ كلِّ فضيلة، والبعد عن كلِّ رذيلة

ترتيبُ الصِّفات الثلاث من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ روعيَ فيها الترقّي إلى الأعلى؛ لأنَّ الوصف بالإيمان جالِبٌ لكلِّ خير، مانِعٌ من كلِّ شرٍّ، فلولاه ما وقع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 191.
(2) السهيلي، الروض الأنف: 7/ 47.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 18/ 126.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 241.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 165.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 191.

الإحصان والغفلة، ويجوز أن يكون الترتيب مبنيًّا على تقديم المسبَّب على السبب؛ لأنَّ الإيمانَ سبب للعفَّة والغفلة، وهما مسبَّبان عنه.

وينبغي أن يُعلم أنَّ القيد بالغفلة والإيمان لا يُبيح رميَ العفيفة غير الغافلة، أو العفيفة الكافرة، وإنَّما جيئ بهذه الأوصاف "لتغليظ الذنب، وليس قيدًا للاحتراز، يبيح قذف غير الغافلات"[1].

دلالةُ بناءِ الفعل ﴿لُعِنُواْ﴾:

آثر السّياقُ التَّعبيرَ ببناء فعل اللَّعنة ﴿لُعِنُواْ﴾، لِما لم يُسمَّ فاعله في قول الله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ وذلك لتوسيع دائرة اللَّعن والطَّرد من رحمة الله تعالى، فمجيء الفعلِ بلا فاعل يسوِّغ أن يأتيَ اللَّعن والدُّعاء بالطَّرد من الله، وملائكته، ورسله، والناس أجمعين، ومن الكون كلِّه، من عرشه إلى فرشه؛ لأنَّ الكونَ كلَّهُ يحِبُّ المتَّقين، ويكره العاصين، فلو جاء الفعلُ معلومًا، وذُكر فاعله؛ لكان اللّاعن واحدًا، وهذا تضييقٌ للوعيد، وتحديدٌ للّاعن؛ ففي الصيغة التي جاء عليها القرآن زيادةُ تشنيعٍ، وشدَّة تبشيع، لمن يتورَّط في حمأة القذفِ.

قاذِفُ المحصَناتِ مـطـرودٌ من رحمة الله تعالى

معنى ﴿فِي﴾:

في الظَّرفيَّةِ من قول الله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ تفخُّمُ اللَّعن وتهويلٌ من شأنه، أي: إنَّ الدُّنيا والآخرة صارتا وعاءً للَّعن، وهذا يدلُّ على أنَّ اللَّعن مُلِئَت به الداران، الأولى والآخرة، وهذا تخويفٌ ما بعده تخويفٌ، يجعل الإنسان يفرُّ من تلك الكبيرة، حتى لا ينالَه هذا الجزاء المهول.

القاذفون المحصَناتِ لا يفارقهم اللَّعن في الدُّنيا والآخرة

دلالةُ التَّعبير بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وتعريفِهما:

في التَّعبير بالدُّنيا والآخرة في قول الله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حُسن تقسيم، واستيفاءٌ لأقسام الشَّيء، فحياة الإنسان لا

الشَّقاءُ الدنيويُّ والأخرويُّ ملازِمٌ للقاذفين

(1) لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث: 3/ 77.

تخرج عن هذَين الزَّمنين، وهذا يوحي بالشَّقاء الأبديِّ للقاذف إن لم يتب، ممّا فيه تهويلٌ وتفخيم من جزاء القذف.

والتَّعريف في ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ تعريفُ عهدٍ، فالدُّنيا للنّاس معهودةٌ؛ لأنَّهم يعيشون فيها، والآخرة أيضًا معهودةٌ؛ لأنَّها تأتي بعد الأولى، فحياتها إمّا نعيمٌ مقيم، أو عذاب أليم، نسأل الله العافية.

سرُّ تقديم الدُّنيا على الآخرة:

العذابُ الحاضر أخـــوَفُ مـن العذاب الغائب

راعى النَّظمُ الحكيم في تقديم الدُّنيا على الآخرة - من قول الله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ - معنى اعتبارِ الزمن، أي: إنَّ زمنَ الدُّنيا قبل زمن الآخرة، ويُلمَح أيضًا أنَّ تقديم الدُّنيا أخوفُ للقاذفين، وأنكى لقلوبهم، وآلم لنفوسهم، لأنَّ جزاء القذف سُرّعان ما يحلُّ بهم، أمّا الآخرة؛ فقد يعتري النَّفسَ استخفافٌ بأمرِ القذف لعدم وقوعها بعدُ، والعذاب العاجل أرهبُ للنَّفس من العذاب الآجل.

بلاغةُ الطِّباق:

قذْفُ المحصَناتِ شقاءٌ في الدُّنيا والآخرة

جمع النَّظمُ القرآنيُّ بين الدُّنيا والآخرة، في قول الله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، وهذا ما يسمّى عند أهل البديع بالطِّباق، الذي يُجمع فيه بين المعنى وضدِّه، وكان لهذا الطِّباق أثرٌ كبير في إظهار الفكرة، وإبراز العبرة، وهو أنَّه صعَّد معنى التخويف، حيث جعل اللَّعن والطَّرد من الله المُطْلقين شاملين للحياتين اللَّتين لا يخرج عنهما الإنسان، وهي الحياةُ الأولى والحياة الآخرة، فهو شقاءٌ دائم فيهما، وهذا يجعل الإنسان يفرُّ من حمأة هذا المَرتَع الوخيم، فلا يقذف بريئةً عفيفة، ولا يشيع في الذين آمنوا فاحشةً مختلَقة.

معنى واو ﴿وَلَهُمۡ﴾:

تنويعُ العذاب أوجلُ للنُّفوس

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عاطفةٌ، عطفت عذابًا على عذاب، فالعذابُ المعطوف عذابٌ حسّيٌّ، والعذاب المعطوف عليه ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ عذابٌ معنويٌّ، فجَمعت الواو بين العذابَين زيادةً في التَّحذير والتَّخويف.

دلالةُ شبهِ الجملة ﴿وَلَهُمْ﴾ وسِرُّ تقديمِهِ:

قذْفُ المحصناتِ طـريـقٌ إلى العذاب العظيم

شِبهُ الجملة في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ حدَّدَ القاذفين المحصنات، وميَّزهم، ودلَّ على شدَّة استحقاقهم لهذا العذاب جرّاء ما فعلوا، وكان تقديم شبه الجملة - وهو الخبر أو متعلِّقُ الخبر - على المبتدأ ﴿عَذَابٌ﴾: للاهتمام بشأن القاذِفين، وللاعتناء بتسليط حكم العذاب عليهم، فهم المعنيّون بهذا الأمر.

إيثارُ لفظِ العذاب دون غيره:

القـذفُ يَسلُب من القاذف مُتَعَ الدُّنيا والآخرة

كان النَّظمُ في غاية الدقَّةِ حين اختار لفظ العذاب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ دون غيره؛ لأنَّ لفظَ العذاب فيه من دلالات لغويَّة مُخيفة تُرهِب الناس، وتخوِّفهم من أمر القذف، فالعَذابُ: هو الإيجاعُ الشَّديد، من قولهم: عَذَبَ الرَّجلُ؛ إذا تركَ المأكل والنَّوم، فهو عاذِبٌ وعَذوبٌ، ويجوز أن يكون أصلُهُ من العَذْبِ، فعَذَّبْتُهُ، أي: أزلت عَذْبَ حياته، وأصل التَّعْذيبِ إكثارُ الضَّرب بِعَذَبَةِ السّوطِ، أي: طرفها، وقد قال بعضُ أهل اللُّغة: التَّعْذيبُ هو الضَّربُ، وقيل: هو من قولهم: ماءٌ عَذَبٌ؛ إذا كان فيه قذًى وكدَرٌ، فيكون عَذَّبْتُهُ، كقولك: كدَّرت عيشُهُ، وزلَّقت حياتُهُ"[1].

ومن ثمَّ كان اختيارُ لفظ العذاب أرهبَ من غيره؛ لأنَّه سَلَبَ من القاذف كلَّ مُتَعِ الحياة، وأيَّ متعةٍ مع الإيجاع والتسهير والتعذيب والتكدير والضرب؟

دلالةُ تنكيرِ ﴿عَذَابٌ﴾:

لكلِّ فعلٍ جزاءٌ يناسبه

دلَّ السياقُ على أنَّ تنكيرَ لفظ العذاب في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إنَّما هو تنكيرُ تفخيم وتهويل من شأنه، أو أنَّ التَّنكير يدلُّ على النوعيَّة، أي: إنَّ هناك عذابًا من نوعٍ خاصٍّ يناسب هؤلاء القاذفين، ففي التَّنكير تحذيرٌ وتنفيرٌ للإنسان من أن يلتاث بتلك القذفة.

(1) الراغب، المفردات: (عذب).

سرُّ وصفِ العذاب بالعظيم:

الوعيدُ الشَّديد بالعقاب مِن أسباب رحمة الله ﷻ

ومعَ الدلالات اللغويَّة المُخيفة التي سبق ذكرها في العذاب، يأتي العذاب موصوفًا بالعظم في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، تهويلًا فوق تهويل، وتخويفًا فوق تخويف، فهو ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: "هائلٌ لا يُقادَرُ قدرُهُ لغاية عظمِ ما اقترفوه من الجنايةِ"[1]، فالوصفُ بالعظيم يُقيم بين الإنسان والقذف سَدًّا منيعًا وحاجزًا حصينًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّمي والاتِّهام:

في لفظ الرَّمي سعةُ دلالة، وغنًى وإثراءٌ، لجمعِهِ بين المعنى الحقيقيِّ والمجازيِّ

الرَّمي أوسعُ معنًى من الاتِّهام؛ لأنَّ الرَّمي يُستعمل في الأعيان، كالسَّهم والحجر، نحو: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ويُستَعمل في المقال كنايةً عن الشَّتم، كالقذف، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور: 6][2].

أمّا الاتِّهام؛ فيكون في المعنويّات، كالاتِّهام بالسَّرقة أو القتل أو الزنى، وهي أمور معنويَّةٌ، أمّا فعلها؛ فيكون محسوسًا.

فلمّا كان الأمرُ كذلك؛ كان الأنسبُ في هذا السياق استعمالَ الرَّمي دون الاتِّهام؛ تحقيقًا للمعنيَين الحقيقيِّ والمجازيِّ، فالمعنى المجازيُّ اتِّهامٌ بالزِّنى، والمعنى الحقيقيُّ الرَّمي بالحجارة، وهما مرادان هنا تبشيعًا وتشنيعًا على أمر القذف، والاتِّهام لا يؤدّي إلّا معنًى واحدًا، وهو الاتِّهام بالفاحشة.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 166.
(2) الراغب، المفردات: (رمى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»